مقدمة السلسلة

لعل السير أصعب فرع من فروع التأليف، فهي تتطلب من كاتبها دقة المؤرخ وتحريه الحقيقة. وطموح الروائي الذي يسعى إلى أن يبدع أثرا من آثار الفن الرفيع، ثم إن مهمة كاتب السير تختلف عن مهمة المؤرخ. فهو يتناول حياة شخص بعينه. أي أنه يعالج الطبيعة البشرية بأغوارها العميقة ونوازعها المعقدة، ومساربها التي تحار البرية فيها. وقدرتها على السمو إلى أرحب الآفاق وأعلاها. والتدني إلى أحط ما تهوي إليه الوحوش من قسوة وفظاعة. فالسيرة إذن فن سام. والتفرقة بينها وبين التاريخ تفرقة حديثة، وربما كان بلوتاخ نفسه، وهو أعظم كتاب السير في العصور القديمة، لم يدرك إمكان قيام السيرة من حيث هي فن مستقل من فنون الأدب.

والسيرة الجيدة تتطلب من الكاتب أول ما تتطلب أن يحب الشخصية التي يكتب عنها، وليس من المفروض أن يدافع عن هذه الشخصية بالحق أو بالباطل، وإنما المطلوب منه أن يحللها ويتقمصها ويصورها للقراء في صورة جياشة. ويجليها لهم كأنهم يرونها رأي العين، ويحسون بأحاسيسها، ويشعرون بنوازعها ونزعاتها ويعيشون حياتها.

ومن هنا أصبح للسير شأن في التاريخ وفي إمتاع القارئ، بل هي قد غدت مذهبا في دراسة التاريخ، لأن في دراسة علم من الأعلام دراسة لعصره وبيئته والشعب الذي نشأ فيه. ورؤيته للأحداث، وخبرته بالناس وأثره فيهم وتأثره بهم. ومعالجته للمشكلات والخطوب، بل إن فيها إلى جانب المتعة عبرة وأسوة ينشأ عليهما الشباب، وتزيدهم انتماء إلى بيئتهم ووطنهم.

والإسلام غني برجالاته وعظمائه وأعلامه، ولاشك أن ميدان الكتابة عنهم ميدان رحب لم يبذل فيه من الجهود الموفقة إلا القليل، مع أن علماء الغرب المنصفين أنفسهم قد أشادوا أيما إشارة بهؤلاء الأعلام الذين تفخر بهم أي أمة.

ويسعد دار المعارف أن تسهم بنصيب في هذا الميدان فتصدر سلسلة أعلام الإسلام.

ومن أمارات التوفيق أن تبدأ هذه السلسلة بزعيم حركة الإصلاح الحديث في مصر الأستاذ الإمام محمد عبده "وحسبنا أن نقول إنه ما من حركة من حركات الإصلاح في أي ميدان من ميادينه إلا وتعود إليه. وما أحوجنا الآن إلى دراسة سيرته العطرة ونحن على أبواب تغيير شامل يهدف إلى إعادة بناء الإنسان المصري بعد أن ظهرت تباشير السلام وتبينت لنا مقتضياته وما يتطلبه من جهود كل من يظله هذا الوطن الكريم ألا وهو "مصر الخالدة".

المستشار الثقافي للدار

إبراهيم زكي خورشيد

obeikandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بهذا الكتاب تختتم تراجم سبعة بدأت بأئمة الفقه الأربعة لأهل السنة، فالإمام جعفر الصادق إمام الشيعة فالإمام محمد بن عبد الوهاب، ليظهر للمعاصرين بالطريقة الشخصية من حياة الأئمة والطريقة الموضوعية من أفكارهم، على اختلاف طرائقهم ومواقعهم، "أن العقيدة الإسلامية نظرية وتطبيقاتها"، وأن شريعتها هي الكمال الفكري في وضعه البشري.

وفي الأعوام المائة التي تعرض لها الصفحات التالية دليل على إمكان التقدم وإن حمل راياته بضعة رجال يجثم على صدر بلادهم جيش الاحتلال.

كان محمد عبده يسرا كله. حيي حياته في زمن المطبعة، وتعلقت الأبصار به، فلا تكاد تخفى من حياته العامة واقعة لم يسجلها قلمه أو أقلام معاصريه، أو معاصريهم. وفي شخصيته من النظام والتدفق، اللذين يتناتجان بوضوح ومنطق، ما يلزم الكتاب اصطحابه في مراحل حياته منذ قادته الحرية الغريزية فيه إلى حلقة جمال الدين. ومنها إلى الصحافة فالثورة فالحرب فالمنفى وأجاءه المنفى إلى مشيخة القضاء. وهناك تجلى في كل أفق وآلت إليه مشيخة الإسلام.

وعلى هذا النسق تتابعت أبواب هذا الكتاب.

***

يا شباب الأيام التي نرتجيها للإسلام. هؤلاء آباؤكم صنعوا لكم ما بين أيديكم. وسيسألكم بنوكم. فاعملوا، لتقولوا لهم: لقد حملنا المشاعل في انتظار ضوء النهار.

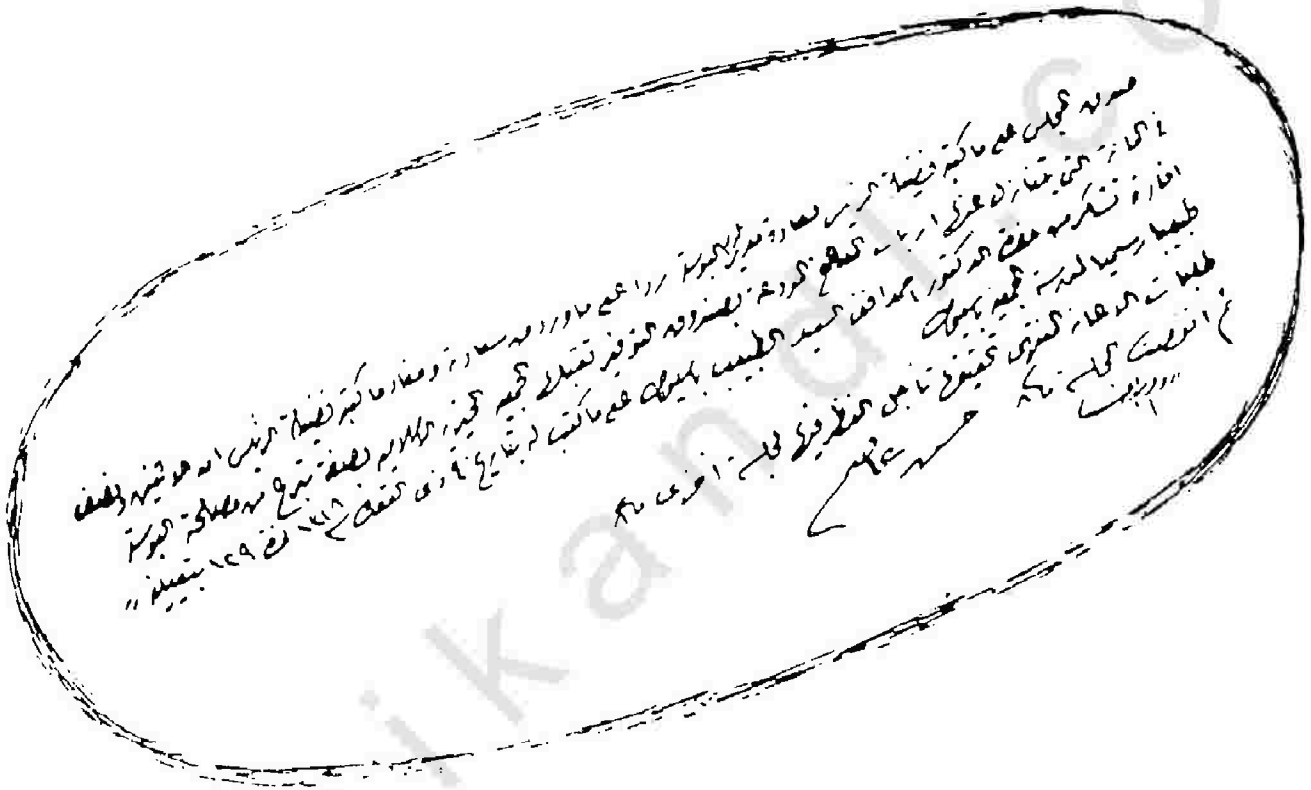

صورة من تبليغ حسن باشا عاصم لقرارات مجلس الإدارة برياسة الأستاذ الإمام

obeikandl.com